

عظة المطران الياس عودة بمناسبة عيد الميلاد المجيد

٢٠٠٢/١٢/٢٥

يجب ان نسعى لتحمل الكنيسة أوجاع الناس"

رجل الدين هو المعلم شاؤوا أم أبوا

ردّ متروبوليت بيروت وتوابعها للروم الارثوذكس المطران الياس عودة على الداعين الى عدم تكلم رجال الدين في السياسة، فقال "ان رجل الدين هو المعلم، شاء المنزعجون والمعترضون ام ابوا (...). واقول لهم ان الله هو نور العالم، ومن يتكلم معه ينير العالم باستنارته من الله". وتمنى على "الاحبة الذين ينظرون في هذا الموضوع ان يكفوا عن ذلك، لان الكلام بهذا الحق لا يحتاج الى شهادات من احد"، مشدداً على ضرورة "ان نسعى الى ان تكون الكنيسة حاملة اوجاع الناس وآلامهم، وان تكون قريبة منهم، يدركونها ويفهمونها".
ترأس المطران عودة خدمة قداس الميلاد في كنيسة القديس نيقولاوس - الاشرافية صباح الاربعاء، وشارك فيه حشد من المؤمنين.

العظة

بعد تلاوة الانجيل، القى عظة قال فيها: "المجد لله في العلى وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة. نعيّد اليوم ايها الاحبة للتواضع السحيق الذي منه نكتسب التواضع والتآلف والاتحاد مع اخوتنا جميعاً. اليوم غزت السموات الارض واحتلتها لا بالسلاح ولا بالقتل والعنف بل بالمحبة والرحمة والحنان. انت السموات الينا لتظهر لنا مجالاً في نفوسنا لا نعرفه. الله يصوّر لنا في معظم الاحيان قوياً كالبشر، ظالماً كالبشر، منتقماً قاطعاً الرقاب والالسنه كالبشر. اليوم، في ذكرى ميلاده، يحول الله هذه الصورة علّنا نراها بوضوح. الله هو مصدر كل شعور نبيل، كل شعور انساني عميق. هو نبع لكل ما اشتهي انا وتشتهي انت من محبة ولطف ووداعة يلفك بها الآخرون.

لقد اصبح الله انساناً وانحدر الى اعماق اعماق الفقر حتى انه رُفض. رُفضت امه ولم تجد لها مكاناً في اي منزل، وكانت حبلية تتألم وقد دنت ساعة ولادتها. لم يستقبلها انسان في بيته فلجأت الى مغارة كان فيها مذود. ظن الناس، عن حق، ان حيوانات كانت في تلك المغارة، وكأن الانسان اكتشف ان الحيوان قد يكون ارحم بالانسان من الانسان. ماذا علّمنا هذا الاله الذي نعبده؟ علّمنا التواضع والانسحاق، وكأني بيسوع يقول لنا انا ولدت في مغارة، بين الحيوانات، كي لا اتكبر كما يتكبر الناس ويتعالون. لذا، في امكان كل فقير ووضع ان يتعزى ويفرح لان الله شاء ان يتحد بالفقير والضعيف لا بالغني المتعالي او الظالم، وارتضى ان يحول معنى الغنى بكل ابعاده. افرغ ذاته من الالهة - لانه بقي الهاً وهو اله في كل حين - وظهر بشكل انسان فقير منسحق ليعلم الانسان انه لا يستطيع الرجوع الى صورته القديمة، الى مجده القديم والالهة التي كانت فيه، ان لم يفرغ ذاته لله.

الله يريدك ايها الانسان في بهاء مجده، في حضرته، لكنك لا تستطيع أن تكون هناك ان لم تفرغ مكاناً للرب في قلبك. يجب الا تشابه اولئك الذين لم يستقبلوا العذراء فيما كانت تعاني آلام الولادة. في ذكرى ولادته يقول لنا يسوع افرغ ذاتك من انانيتك، افرغ ذاتك من كبرياتك وترفعك يسكن الله فيك ويستقر. يقول لنا جنّت اليكم لاصالحكم مع الله، جنّتكم متوسطاً. اصبحت مثلكم انساناً كاملاً، اتعب واسأل السامرية ماء لارتوي، ابكي على لعازر كما تبكون على احبائكم، اتألم كما تتألمون، اموت لكي ادخل موتكم واحوله قيامة. جنّت

لاصالحكم مع الله. كيف؟ سأمشي امامكم، اتبعوا خطاي، تمثلوا بي. سأتحرك بينكم، سأتكلم معكم، اسمعوني، اقرأوني، اتبعوني.

قال له بطرس سأتبعك حيثما تذهب، حتى الصليب، حتى الموت. اجاب يسوع: لا تتكبر يا بطرس لانك، باتباعك اياي، قد تتكبر وقد يوقعك كبرياؤك ويميتك. سوف تتكرني ثلاث مرات. سوف تعلن: لا اعرفه. كم من الناس يدعون انهم للمسيح وينذكرونه! ان اتباع يسوع يستدعي انكار النفس. من اراد ان يتبع يسوع انسان لطيف وديع محب بيكي مع الباكين ويفرح مع الفرحين، يكفر بنفسه ويحمل آلام الآخرين. هو مستعد ان يحمل انتقال اخوته ولو كان في الالم، وان يُظهر لهم كل جمال لكي تتعزى نفوسهم. لا يمكنكم ان ترتفعوا الى الله ما لم تتخلوا عن نفوسكم الشريرة الامارة بالسوء. على المسيحي ان يتبع المسيح والمسيح يعلمه كيف يكون مع الله، كيف يعود الى بيته الابوي ويصبح في حماه: "الذي رأني فقد رأى الآب" (يوحنا ١٤: ٧). يسوع هو ذاكرتنا الالهية التي فقدناها. لذلك تجسد، لكي يذكرنا بما قد نسيناه بابتعادنا عن الله وعن فردوسه. حياتنا به تحولنا من كل ما هو ارضي الى كل ما هو سماوي. ومن يتبع المسيح يرى العالم بعين المسيح يرى الجمال في كل مكان ويرى كل انسان جميلاً، يرى كل مخلوق جميلاً، ويرى نفسه جميلة، وديعة، محبة. لماذا تجسد المسيح وصار انساناً؟

العدل قبل السلام

في أول ظهور له كان في المجمع اليهودي. دخله ليصلي بعدما اعتمد وجرب. اعتمده يوحنا بعدما رفض يوحنا تعميده قائلاً له: "انا محتاج ان أعتد منك وانت تأتي الي؟" (متى ٣: ١٤) فأجابه يسوع: "هكذا يليق بنا ان نكمل كل بر" (متى ٣: ١٥). ثم أخذ يسوع الى البرية حيث جرب بتجارب ثلاث تختصر بطلب المجد الباطل، بالحياة، بعيدا عن الله، وبتجربة الله، لكن يسوع تغلب على ابليس وانطلق في رسالته ودخل بدءا المجمع اليهودي فذفع اليه سفر اشعيا النبي، ولما فتح السفر وجد الموضوع الذي كان مكتوبا فيه روح الرب علي لانه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالاطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لوقا ٤: ١٩٠١٧). هذا ما قرأه يسوع كما ليقول لليهود ولنا ان النبوة قد تحققت فيّ. انا لست الملك الذي تريدونه. انا المسيح الذي يجد فيه كل انسان عوناً وملجأً. انا سيد في المحبة والخدمة والتواضع لأنني جئت لأخدم لا لأخدم (متى ٢٠: ٢٨).

المؤمن هو الانسان الذي يحمل المحبة بين أضلعه. المؤمن لا يكن بغضا او كراهية وحقدا بل ينبض قلبه تسامحا وغفرانا. المؤمن بالمسيح هو أبدا في متناول الآخرين بلطفه ومحبته، يحمل الى الآخرين سر المحبة الذي يعيشه. وتلميذ المسيح يعلن الحقيقة مهما كان ثمنها. لا يكذب، لا يساوم، لا يراوغ. ولكي يكون التلميذ كسيده عليه ان يعلن حقيقة ان العدل يأتي قبل السلام، والعدل يبني على الحق الذي متى حصل عليه كل انسان يتساوى الناس ويحل السلام. من يتكلم عن السلام يجب ان لا يكون ظالما لان العدل يأتي أولا. عليك ان تعامل البشر بالتساوي، ان تعطيتهم حقوقهم ثم تطلب منهم ان يصمتوا ولا يغضبوا او يثوروا. يجب ان تكون انسانا عادلا كي لا ينفجر من هم أمامك. من طبيعة الانسان ان يغضب، ومن حقه ان يغضب، لكن الرب يحذر من الخطأ في الغضب: اغضبوا ولا تخطئوا (مزور ٤: ٤). العدل ثم السلام لان الانسان الحاصل على حقه يجد نفسه مساويا للآخر فيستكين ويرتاح ويصبح في سلام كلي.

تلميذ المسيح يجابه الألم والمرض والموت وكل ما يؤذي جسديا ونفسيا بالصبر والفرح والاحتمال، لكي يعلم من لا يعرفون المسيح كيف يجابهون الألم والمرض والموت. المؤمن بالمسيح يعرف ان لا سلطان للموت عليه وقد غلب المسيح الموت بالموت. وهو مدعو ان يحمل للآخر حياة المسيح التي اصبحت حياته. المؤمن،

في لقائه الآخر، يحمل اليه كل تعزية ورجاء وفرح. العظمة في المسيح انك تصبح عند اقدام الآخرين، خادما لهم، محبا، "من أراد ان يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادما" (متى ٢٠:٢٦).
لا تصمت أبدا

تجسد المسيح ليعلمنا الطاعة لله. في تمردنا على الله نبتعد عنه والبعد عنه موت. يسوع علمنا الطاعة حتى الموت: "لنكن لا ارادتي بل ارادتك" (لوقا ٢٢:٤٢). قالت النبوءة عن المسيح انه أتى ليبشر المظلومين والمتألمين والمحزونين والمأسورين وكل متألم وذي شدة. سؤالي في هذا اليوم المقدس: هل يحمل تلميذ المسيح آلام الناس؟ وهل تحمل الكنيسة آلام الناس وتعي أحوالهم وأوجاعهم؟ يجب ان نسعى الى ان تكون الكنيسة حاملة أوجاع الناس وآلامهم. أن تكون قريبة منهم، يدركونها ويفهمونها. الكنيسة تتحرك بالروح القدس ورسالتها هي ان تتقذ الناس من كل سوء قد يمسه. على الكنيسة ألا تتخلى عن صوتها النبوي. عليها ان لا تصمت أبدا. قال الرب: "تعرفون الحق والحق يحرككم" (يوحنا ٨:٣٢). الكنيسة هي في طليعة من يحارب من أجل الحرية. هي معلمة الاحرار، وهي وحدها تعرف معنى الحرية لانها لا تطلب ما لنفسها. هل أصلي انا المؤمن من اجل سلام العالم ومن اجل رجوع الخاطيء والفاقد والظالم الى أحضان الرب؟ هل أحمل عن المظلوم ظلمه وعن الفقير فقره وعن المتألم ألمه؟ كثيرا ما نسمع اليوم: لماذا يتكلم رجال الدين في أمور يعتقد انه ليس من حقهم التكلم فيها. أريد ان اقول ان كل الامور التي تؤدي الى الخير، بدون استثناء، هي اولا من حق رجال الدين وبعدئذ من حق الآخرين لان رجال الدين، بطبيعة حياتهم، هم اقرب الى النور من غيرهم. قد يكونون من أخطأ الناس وأفسدهم، وانا أولهم، لكنني أعرف دون اي شك انني في كل مرة أقف امام الرب يذكرني ربي بالمحبة التي يجب ان أحملها دفاعا عن كل متألم ومظلوم. رجل الدين هو المعلم شاء المنزعجون والمعترضون أم أبوا. من حقهم ان يرفضوا. من حق اي انسان ألا يؤمن وأن يلحد، لكنني أقول لهم ان الله هو نور العالم، ومن يتكلم مع الله يبينر العالم باستنارته من الله. لذلك أسأل الأحبة الذين ينظرون في هذا الموضوع ان يكفوا عنه لأن الكلام بهذا الحق لا يحتاج الى شهادات من أحد. الدفاع عن الحق يحتاج الى المحبة والى القلب الذي يحمل الآخرين في حناياه. لنصمت اذا ولنتأمل ان كان الله يسكن فينا أم لا. دعائي في هذا اليوم المقدس ان يجد الله فيكم، لا مذوداً، بل قلبا لحميا حنونا طيبا ليستقر فيه ويرتاح.